

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر

من ينابيع الثقافة

= ٢١ =

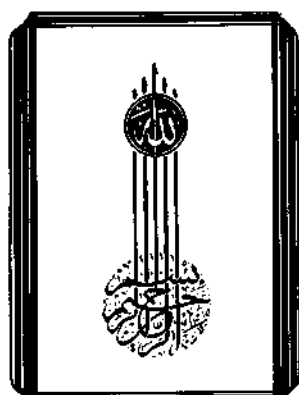
شخصية الرسول

صلى الله عليه وسلم
في ضوء المقاييس الإنسانية

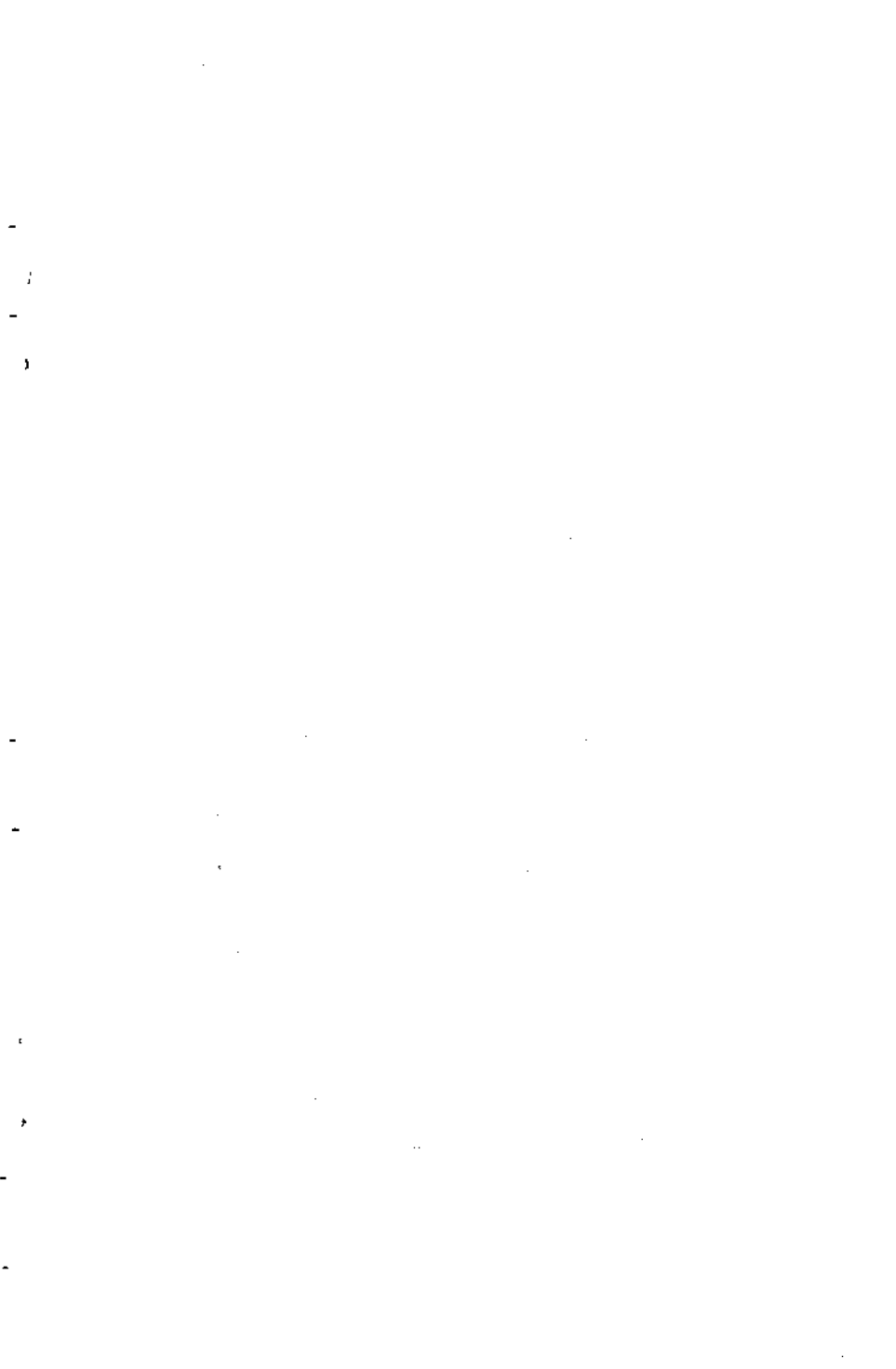
تأليف

الدكتور/ عبد الحليم عويس
الأستاذ بالجامعة

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة



تقديم لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد .

من لوازم الإيمان اعتقاد أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الأسوة الحسنة والمثل الأزكى في حياة المسلم . . . وليست القضية في الالتزام بسترته القولية والفعلية والتقريرية وحسب، بل في أن يقوم هذا الالتزام على حب وتقدير وولاء مطلق . .

وشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام هي أعظم شخصية في التاريخ تستأهل الحب الكامل والاتباع التام .

وقد قدّم المسلمون الأوائل من صحابة وتابعين أعظم النماذج البشرية في ظل الحب الكامل والامثال الأعلى والطاعة المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . إن علاقة المسلمين برسول الله كانت امتثالاً نابعا من قلوب عامرة

بالحب فياضة بالإيمان ، مستعدة لأن تضحي في سبيله بكل
غال ورخيص .. فهم يقونه بأجسادهم في المعارك لكيلا
يصاب بأذى .. يمشون أمامه ومن خلفه حتى لا يستطيع عدو
غادر أن ينال منه ، وهم يضعون كل ما يملكون طوع أمره
يأخذ منه - وهم يجلسون في دروسه منصتين خاشعين ..
ويقول واحد منهم والله ما أحب أن أكون على فراشي الآن
ورسول الله تصيبه شوكة !! فحياته أهون عنده من أن تحفظ في
سبيل شوكة تصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم !! .. !!

وهل عرف التاريخ امرأة يموت زوجها وأبوها وأخوها في
معركة واحدة ، فلمّا علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخير تقول : (كل شيء بعدك جليل) - أى أن كل خطب دونك
هين ؟ !! ..

فأي علاقة هذه التي ربطت المسلمين برسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ !! - إنها - ييقن أسمى علاقة إيمانية تنبع من
أعماق القلوب .. إنها العلاقة التي تجعل الابن يتقدم مطمئن
الضمير واثق القلب ليقتل أباه الكافر .. أو ليعرض قتل أبيه
المنافق ..

وهي العلاقة التي تجعل الزوج يقتل زوجته التي تؤذى

رسول الله بالقول . .

إنها - بإيجاز - علاقة تسمو على كل العلاقات التي عرفتها البشرية .

ونحن المسلمون في حاجة ماسة إلى إعادة تصحيح علاقتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون علاقة أتباع وإيمان والتزام كامل بستته . . وبحب كامل لشخصيته العظيمة في القلوب !!

لقد كان رسولنا عليه الصلاة والسلام في اعتقادنا أعظم شخصية عرفتها البشرية . . وهكذا أثبت الأعداء المنصفون منهم والباحثون المخلصون .

وفي هذا البحث الوجيز يقدم لنا الكاتب الإسلامي الدكتور عبدالحليم عويس (الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحليلاً علمياً وتاريخياً لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام أمام المقاييس الإنسانية العامة . . تلك المقاييس التي تتعامل مع شروط العظمة الإنسانية .

وبهذه المقاييس الإنسانية العامة في تقدير الشخصية التاريخية انتهى الباحث إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخصية عرفها التاريخ . .

فشكرا للباحث الكريم وجزاه الله خيرا ونفع بهذا الجهد
عامة المسلمين : : : والصلاة والسلام على أفضل خلق الله
محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعه
وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

مدير الجامعة

عبدالله بن عبدالمحسن التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى هؤلاء الذين قدموا الكثير عن محمد (الإنسان) (رسول الحرية والعدالة) على حساب محمد النبي (رسول الله)...
- وكأنهم تصوروا أن محمداً الإنسان يمكن أن يغنى عن محمد النبي، أو ربّما توهموا أن محمداً النبي قد يتناقض مع مقاييس (محمد) العظيم الإنسان .
- إلى هؤلاء - هداهم الله - أقدم هذا البحث، مبنياً - بوضوح - أن محمداً الإنسان (محرر الإنسانية) يتعاق مع محمد النبي (رسول الله صلى الله عليه وسلم) في انسجام وتآزر... وفي نسيج واحد، أمام كل المقاييس الموضوعية والإنسانية المحايدة...
- وسلام على محمد الإنسان النبي... وأفضل الصلاة والسلام.

د / عبدالحليم عويس

تمهيد :

تباينت النظرة إلى «مقاييس الشخصية» الكاملة والنموزجية خلال الأحقاب المتطاولة في التاريخ، من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أمة أخرى .

ومما لا ريب فيه أن المقاييس الغالبة لدى هذه الأمم كانت مقاييس ذاتية تستقى أركانها من فكرها المسيطر، ومن عقائدها المنتشرة، ومن طبيعة المرحلة التاريخية التي تمثلها، ومن مجموعة الظروف البيئية والنفسية والعملية الأخرى .

وقلما برزت في مسيرة التاريخ (مقاييس عامة) للشخصية المتكاملة التي تعبر عن الخصائص الإنسانية العالية، وتحمل في إطارها النظري والتطبيقي تلك الصورة المثلى، أو الإنسانية النموزجية، والتي يجب أن تكون القدوة المتألفة لمجموع الأمم ولسائر مراحل التاريخ .

ولقد حاول كثير من المتفلسفين «والطوباويين» أن يتخيلوا نماذج فردية، وأطراً جماعية، لكنهم قد افتقدوا في سائر ما تخيلوا - الفهم الحقيقي للإنسان، فارتفعوا به أحياناً - وبالمجتمع الذي تخيلوه له - إلى مستوى المثالية الملائكية

التي لا علاقة لها بالجانب البشرى في الإنسان، وهبطوا به في أحيان أخرى - إلى مستوى غريزى - فردي أو جماعي - يسلب الإنسان كل خصائصه الروحية، وأشواقه العليا .

وبالتأكيد فإن لنا أن نتوقع أن يكون أصحاب العقائد والمذاهب - في التاريخ - قد وضعوا مقياسهم للشخصية النموذجية، على ضوء الأسس التي تقوم عليها عقائدهم ومذاهبهم .

فعند البوذي لابد أن تكون الشخصية النموذجية، هي الشخصية التي تطبق تعاليم البوذية تطبيقاً كاملاً، بصرف النظر عن محاكمة هذه التعاليم إلى منطق «القيم العامة» ومقاييس الحق والعدل، وإلى ما هو أهم ، وهو طبيعة الفطرة الإنسانية ، بتوازنها وتكاملها .

وعند اليهودى، سنجد اليهودى الكامل هو ذلك الذى يطبق التوراة وإضافات «الحاخامات» تطبيقاً حرفياً، دون النظر إلى (المقياس العام) الذى نستطيع به معرفة الصحيح والباطل من الأفكار وإلى مدى ملائمة هذه الأفكار للطاقة الإنسانية .

ونستطيع أن نعمم ذلك على النصرانية، وعلى بعض المنحرفين في تصورهم للإسلام، وعلى «البرجماتية»

النفعية، وعلى العنصرية القومية، وعلى بقية أصحاب الملل والنحل .

ولم يقع إلا نادرا في التاريخ أن برزت (المقاييس العامة) المحايدة والموضوعية، وحتى عندما كان يقع ذلك، وتتوافر فيه الرغبة الصادقة في التقويم الموضوعي فإن الموروثات الفكرية والخلفيات الاجتماعية كثيرا ما كانت تحول دون استقامة الموازين .

ولكن مع تقدم المنهج العلمي، وشيوع موازين النقد التاريخي المقارن، ومع انفراج الضغوط الكنسية، وتقدم وسائل المعرفة، وسهولة تبادل الأفكار، والوصول إلى مصادرها الصحيحة . . بدأت تنحسر الموجة الشخصية - بقدر ما - وبدأت تظهر بين الفينة والفينة ومضات المقاييس الموضوعية وكأنها تخرج - ظافرة - من بين ظلمات الجهل والحققد والعنصرية التي تراكمت في مراحل متطاولة من التاريخ !!

ومن هنا، فنحن نحترم - بخاصة - تلك النظرات والأحكام التي مدّت الطرف إلى سائر الآفاق، ودرست دراسة موضوعية مقارنة، ونحن نعتبر رأيها - قبل غيرها - هو الرأي الجدير بالتقدير . !!

مقاييس الشخصية النموذجية :

ثمة أسس انتهى إليها الوعي الإنساني يقوم عليها بناء الشخصية الكاملة بصرف النظر عن الخلاف حول بعض الخصائص الفرعية، أو حول تكثيف بعض الظلال في جانب على حساب الجوانب الأخرى، مما يميز غالبا بين نظرية وأخرى .

- والركنان الجوهريان في الشخصية النموذجية هما :
- أن تكون شخصية واضحة، لا يغلب عليها الطابع الأسطوري أو المثالي المجرد .
 - وأن تكون هذه الشخصية ذات تأثير إنساني عام امتد خلال القرون، وعبر أماكن مختلفة وأجناس مختلفين^(١) .
- ولئن كان النظر ضروريا إلى هذين الركنين الجوهريين، في كل شخصية تدخل في مجال العظمة الإنسانية، فإن تحديد مركز هذه الشخصية يتحدد على أساس مقياسين آخرين هما :
- ١ - المستوى الكمي (Quantity) أى مقدار التأثير الذى ينسب للشخصية .

- ٢ - المستوى الكيفي (Quality) أى نوع التأثير وجوهره^(٢) .
- وإذا تجاوزنا هذه الأساسيات في (قياس الشخصية) فإننا

نجد مناحى مختلفة في النظر إلى العظمة الإنسانية .

ومن الغريب كما ألمعنا إلى ذلك - أن الموروث الثقافي والظروف الحضارية - تتحكم في مقياس النظرة، مهما كانت الرغبة في الحياد قائمة .

فإن المحاولة الناجحة التي لقيت صدى عالميا كبيرا والتي قام بها الأمريكي النصراني (مايكل هارت) لترتيب أعظم مائة على امتداد فترة زمنية تمتد ستة وعشرين قرنا من التاريخ، هذه المحاولة لم تغفل من عدد من المثالب الخطرة على رأسها سيطرة النزعة الذرائعية (البرجماتية) على مقياسه ، بحيث لوحظ إصرار المؤلف على تصدير النتيجة العملية لجهاد العظيم، كما لوحظ على المؤلف شيء من التحيز للعنصر البريطاني بعامة والاسكتلندي بخاصة، وكذلك ميله لعلماء الفلك والقانون والفيزياء الذين ينتمي إليهم بحكم ثقافته وتخصصه^(٣)، كما أنه - من وجهة نظرنا - ظلم عدداً من الحضارات ، على رأسها الحضارة الإسلامية، وأخطأ في وضع عدد من الشخصيات في قائمة «المائة الأوائل» كان أولى بهم أن يخرجوا من دائرة العظماء خروجا كاملا، نظرا لتأثيرهم السلبي «الهدام» في مجرى الحضارة الإنسانية أمام المقاييس الحقيقية للعظمة الإنسانية. وعلى رأس هؤلاء: كارل

ماركس ، ولينين وستالين ، وداروين ، وماوتسى تونج ، وجنيكيزخان ، وفرويد ، ونيقولو ميكيافيللي .

إن علماء النفس والتربية المحدثين يقفون شبه حائرين أمام البناء الداخلي للشخصية الإنسانية ، وهم يرون أن فهم المؤثرات الحقيقية ، والعناصر الأساسية المؤدية للسلوك البشري ، من الأعمال البالغة الصعوبة .

وانهم ليحارون أكثر عندما يشعرون بالبون الشاسع بين تقدم علوم الحياة والطبيعة ، والتأخر الغريب في فهم الإنسان ، نفسيا وسلوكيا ، ويتمنون لو أمكن صياغة «تكنولوجيا السلوك الإنساني»^(١) ، بحيث يمكن استخدام التكنولوجيا في فهم أعمق القضايا الإنسانية ، وفي تكريس خدمة احتياجات الإنسان الروحية^(٢) .

ويرى هؤلاء النفسيون والمربون أن السلوك البشرى لا يزال على العموم ينسب إلى قوى تقيم في داخل الإنسان ، فيقال على سبيل المثال عن إنسان جانح إنه يعاني من شخصية مضطربة ، بينما يقال - بالتالي - عن إنسان مستقيم إنه ذو شخصية سوية .

وفي رأى علماء النفس أن الشخصية تبرز سلوكها اعتمادا

على التفاعل بين ثلاث شخصيات داخلية هي الأنا (ego) ،
والذات العليا (Superego) واللاشعور الغريزي أو الهو (Id) ^(١)

وهكذا - من خلال هذه اللوحة العابرة - تبدو أمامنا طبيعة
الأسلوب الذى ينهجه علماء النفس والتربية في فهم الشخصية
الإنسانية وتقويمها . وإذا نحن ذهبنا نتبع بقية العلماء
المهتمين بالإنسان والشئون الإنسانية فإننا نجد مناهجهم
تخضع إن قليلا أو كثيرا للمؤثر الثقافي الخاص ، فعالم
السياسة نظرته إلى الإنسان وتفسيره لسلوكه في ضوء قوانين
علم السياسة ، ولعالم الاقتصاد نظرته وتفسيره كذلك في ضوء
علم الاقتصاد ، ولعالم الاجتماع نظرته ولعالم الاجناس
البشرية (الأنثروبولوجي) نظرته .

ومن هنا ، واعتمادا على أننا نرى فى الإنسان كلا مركبا
لا يتجزأ ، فنحن سنتجاوز هذه النظرات الجزئية ، مشيرين إلى
أننا سنأخذ بالأسس الواضحة التى تقوم عليها الشخصية ،
وبالمقاييس العامة التى تحدد مركز عظمتها . إضافة إلى
أهمية أن تتوازن فى الشخصية الفعاليات المختلفة ، وإلى أن
يكون لها قيمة وجودها الذى يلائم حجمها .

وضوح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الركن الأول من أركان دخول الشخصية التاريخية مجال التنافس في مضمار العظمة هو أن تكون واضحة .

هكذا ذكرنا في صدر هذا البحث .
وهكذا ذكر (مايكل هارت) في مقياسه الذي قام عليه منهجه في كتابه الشهير «الأوائل» إنه يقول :

«ومن عشرات البلايين الموجودين على هذه الأرض ذكرت القواميس البيولوجية أسماء أقل من واحد في المليون، ومن الـ ٢٠,٠٠٠ شخص المذكورة أسماؤهم في القواميس نحو حوالي نصف في المائة فقط ذكرت في هذه القائمة . . ويجدر بي أن أذكر على أى أساس وضعت هذه القائمة . فالأساس الأول هو أن الأشخاص الحقيقيين هم الجديرون بالاعتبار»^(١).

والخاصة العظمى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته هي هذا الوضوح الكبير، فكأن الذين درسوا حياته دراسة جيدة، وعرفوه من خلال ماورد عنه في القرآن - الذى هو المصدر الأول لسيرته - وماورد في كتب السنة عن شمائله،

وموارد في كتب السيرة والتاريخ . . . لكنهم يعيشون معه ،
ويحسنون بحركته اليومية ، وغدواته في دروب مكة والمدينة .

ويمكن للباحث أن يعرف مدى الوضوح في حياة رسول الله
إذا هو قارنها بأية شخصية أخرى في التاريخ ، بل إذا هو قارنها
بشخصية أى نبي آخر، من مثل نوح الذى عاش ٩٥٠ سنة ، أو
بموسى أو يعيسى . . أو غيرهم .

لقد كان المجتمع المسلم كله يراقب كل أقوال الرسول
صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، ويسمى كل هذا (سنة
رسول الله) أى طريقته - ويعتبرها تشريعا مكملا للقرآن وشارحا
له .

يقول المستشرق (مونتيه) في وصف وضوح حياة الرسول :
«لقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل
محمد ، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع
يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية»^(١) .

وتقول الدكتورة «لورافيشيا فاعلىرى» أستاذة اللغة العربية
وتاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة نابولي بايطاليا :

«لقد حاول أقوى أعداء الإسلام - وقد أعماهم الحقد - أن
يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة ، لقد نسوا أن محمدا كان

قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية لو كان قبل ذلك رجلا كذاباً؟^(١)

لقد عاش محمد أربعين سنة قبل البعثة مع أهل مكة، يتعامل معهم يوميا، ويشارك في أمورهم العارضة، والكبيرة، وما عرف عليه السلام بشيء أمسكوه عليه قبل إعلانه نبوته، فما غش، وما كذب، وما خان، بل كان عندهم الصادق الأمين .

وإنه عليه السلام عندما أمره الله بإعلان رسالته صعد الصفا، وهتف بقريش، قائلا: رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفوح هذا الجبل أكتتم تصدقونني؟ قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط^(٢)

فهذا الحوار تقرير من أهل مكة - في هذا الحشد - عن الأربعين سنة التي عاشها الرسول بينهم . . .

وثمة تقرير آخر عن هذه الفترة الطويلة اعترف فيه عدو الرسول «النضر بن الحرث بن كلدة» . . فقد قال لقريش في

مجلسهم وهم يتباحثون كيف يقاومون الرسول ، فقام لهم
النضر وقال :

- يامعشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة
بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ،
وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه
الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم فيه ما قلتم^(١) .

بل إن قريشا - بعد بعثته وحربهم له - لم يتورعوا عن أن
يضعوا عنده ودائعهم ، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه
وسلم خلف على بن أبي طالب وراءه ليؤدى هذه الودائع إلى
أهلها^(٢) .

فهل هناك شهادة أبلغ من هذه الشهادة ؟

وهل ورد في التاريخ أن عدوا يأمن عدوه - بهذه الصورة -
اللهم إلا إذا كانت صفحته وشخصيته واضحة غاية الوضوح ،
وإلا إذا كان في غاية الثقة من أنه في القمة من نقاء الخلق
وصفاء السيرة ورفق المسلك .

ولم يقف الأمر عند رقابة المجتمع بعامة بل ثمة (عيون)
أكثر إحاطة به تقف دائما على باب منازلهم ترصد كل حركة
يأتيها . . . وتسجلها ، وتنقلها . . . وتعتبرها تشريعا .

إن هذه العيون هم (خدمه ومواليه) الذين من أشهرهم هند وأسماء ابنتا حارثة، وسلمى، وخضرة، ورضوى وميمونة بنت سعد، وأم أيمن واسمها بركة، وزيد بن حارثة، وثوبان، وسفينة، وأنسة، وأبوكبشة، وصالح شقران، ورباح، ويسار، وأبورافع، وفضاله، ورافع، وأبومويهبة^(١٣)، ومدعم، وأنس بن مالك، الذى يعد أشهرهم على الإطلاق والذى عاش بعد الرسول أكثر من سبعين سنة، وعبدالله بن مسعود صاحب نعليه، وربيعه بن كعب، وعقبة بن عامر صاحب بغلته، وبلال، ومخبر، وكيسان، ووردان، وغيرهم^(١٤)

- أما أهل الصفة، وعلى رأسهم المحدث المعروف (أبوهريرة) الذى اعتبر أكثر الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أما هؤلاء فكان عليهم ملاحقة الرسول عليه السلام منذ أول خطوة يخطوها خارج بيته .

وينفرد الرسول صلى الله عليه وسلم فى وضوح شخصيته وسلوكياته كلها - بميزة لا يشاركه فيها أحد غيره فى التاريخ المعروف . فمن بين المائة الذين اختارهم (مايكل هارت) كان هناك (١٩) لم يتزوجوا، لكن ليس هناك إلا محمد عليه السلام هو الذى حقق تلك الشخصية الفذة بينما كان يجمع بين تسع من الزوجات فى آن واحد، والقيمة الحقيقية لهذا

العدد من الزوجات ، قد نعرفها إذا تذكرنا المثل الدارج الذى يفيدنا بأن العظيم لا يكون في بيته عظيما . فكيف استطاع محمد أن يظل عظيما في كل هذه البيوت ؟ وأن تظل زوجاته من بعده مقدرات لعظمته ، مع اختلاف قبائلهن ، ومع أن بعضهن عشن بعده نحو خمسين سنة ، فعائشة عاشت إلى سنة ٥٨ للهجرة ، وأما جويرية بنت الحارث فقد عاشت إلى سنة ٥٦ هـ وعاشت صفية إلى سنة ٥٠ هـ ، وحفصة بنت عمر عاشت إلى سنة ٥٠ أو ٤٥ هـ ، وأم سلمة عاشت إلى سنة ٥٩ هـ أى بعده بنحو خمسين سنة^(١٥)

وليس هذا مناط الشاهد الذى نريده من تفرد النبي بهذه الميزة التي لم يفهمها كثير من أعداء الإسلام أو المسلمين حق الفهم . . . وإنما مناط الشاهد الذى نريده هو تلك الدرجة من الوضوح التي يمكن أن يعكسها وجود هذا العدد الكبير من الزوجات . .

فإذا أمكن لمحمد أن يعيش مع الناس حياة ظاهرية يرونها فيها ويراقبون حركاته ، وقد يستطيع الكثيرون أن يظهروا في المجتمع بصورة متكلفة - فإن محمدا لا يستطيع أن يتكلف حياة غير حقيقية في بيته . . مع كل هذا العدد من الزوجات !!

وإذا أمكن أن تكون هناك زوجة أو زوجتان ، تقومان بإخفاء شيء من حياته ، فإن من المستحيل عقلا - لو كان في حياته شيء مريب - أن يتواطأ تسع زوجات - وحتى بعد وفاته - على إخفاء هذا الشيء . فسيرة محمد التي بين أيدينا عن شمائله إنما هي أوثق سيرة مأمونة من الكذب والتمويه على امتداد التاريخ كله .

وجانب آخر يحققه هذا العدد من الزوجات . . هذا الجانب هو أننا نستطيع أن نطمئن إلى أن كل صغيرة وكبيرة في حياة الرسول وشخصيته قد نقلت إلينا تماما . . وليس ثمة في التاريخ كله نبي أو عظيم عرف التاريخ أخصّ خصوصياته مثلما عرف محمد صلى الله عليه وسلم . . فحتى قضاؤه لوطره واغتساله بعده ، وطريقة غسله ، ونومه ، وطريقة قضائه لحاجته ، واغتساله منها . .

كل ذلك ، نقله إلينا التاريخ بطريقة موثوقة ندر أن تتمتع بمثل وثاقها نصوص في التاريخ .

ومن زاوية أخرى فهذه هي صفحة الرسول واضحة في مصادر لا يرقى إليها شك ، فقد حفظها القرآن في عشرات السور ، ولخصتها آية قرآنية تخاطب محمدا وتصف خلقه وتقول له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾^(١)

وإن كتب السنة الصحيحة والمعروفة لدى جمهرة المسلمين: البخارى ومسلم والترمذى، والنسائى، وأبوداود، وابن ماجه، وموطأ مالك. . ليست إلا تسجيلاً وثائقياً لحياة الرسول ولأقواله وأخلاقه. وهذه الكتب تبلغ صفحاتها عدداً من الآلاف، وقد خضعت لمنهج «الجرح والتعديل» الذى يعتبر من أوثق المناهج فى النقد والتمحيص.

وقد كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وشماله آلاف الكتب، كتبها مسلمون وغير مسلمين، وما يخلو قرن من القرون - منذ ظهوره - عليه السلام - إلا وتظهر دراسات عن سيرته وشخصيته، تكمل ما سبقها وتضيف ما ظهر لها.

فهل ثمة فى التاريخ وضوح يضاهي هذا الوضوح أو يقاربه !!!؟

شخصية الرسول الخلقية :

عقد الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥١٠هـ - ٥٩٧هـ) فى كتابه الوفا بأحوال المصطفى فصلاً كاملاً عن صفات جسده صلى الله عليه وسلم، استغرق اثنتين وستين صفحة^(١٧)، ويشمل جل ما يتعلق بصفاته الخلقية، عليه السلام.

يبد أننا لا نجد هذا المقام مناسباً لبسط القول في صفاته
الخلقية الكريمة، وحسبنا أن نأخذ منها جانباً نراه مؤشراً كافياً -
للدلالة على تكامل شخصية الرسول في الجانبين الخلقي
والخلقي .

وقد دفعنا إلى هذا مانعته من التأثير المتبادل بين
الجانبين، ولا سيما وأن محمداً - كني وقائد - تحتاج شخصيته
إلى التطابق بين الهيئة والأخلاق .

وقد جاء في الجزء الخاص بشمائل الرسول من كتاب جامع
الأصول عن الترمذى أن على بن أبي طالب رضي الله عنه كان
يصف الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

«لم يكن بالطويل الممغط^(١٨)، ولا بالقصير المتردد، كان
ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان
جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، كان أسيل
المخد، وكان أبيض مشرباً بحمرة، أدعج، أهدب الأشفار، ذا
مسربه شتن الكف والقدمين، جليل المشاش والكتد، إذا
التفت التفت معاً، وإذا مشى يتكفؤ تكفؤاً كأنما ينحط من
صيب^(١٩) بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود
الناس صدراً، وأشجعهم قلباً، وأصدقهم لهجة، وألينهم
عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه

أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ولا يسرد الحديث سرداً، يتكلم بكلام فصل، يفهمه من سمعه»^(١١).

أما (أم معبد) التي مر الرسول صلى الله عليه وسلم بخيمتها أثناء هجرته، والتي حلب شاتها المجعدة، أما هذه المرأة - التي كانت على الشرك آنذاك - فقد قدمت لنا صورة أخرى تكمل الصورة السابقة التي أسلفنا ذكرها. فقد اضطرت أم معبد أن تصف ضيفها لزوجها (أبي معبد) بعد عودته، وبعد أن أظهر دهشته من وجود اللبن في الخيمة فقالت أم معبد له:

مر بنا رجل مبارك كان حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا، قال: والله إنني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد قالت:

«ظاهر الوضوء، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبته تجله، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل وفي عنقه سطع، أجود، أكحل، أزج، أقرن: شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقته خرزات نظم يتحدرون ربعة، تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو

أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهن قدرا، له رفقاء يحفون به . إذا
قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفوظ محشور،
لا عابس ولا مفند»^(١١)

وقال جابر بن سمرة: كان ضليع الفم أشكل العين،
منهوس العقبين»^(١٢)

وقال أنس بن مالك: كان بسط الكفين، وكان أزهر اللون
ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، قبض، وليس في رأسه ولحيته
عشرون شعرة بيضاء»^(١٣)

وقالت الربيع بنت معوذ: لورأيت رأيت الشمس طالعة»^(١٤).
وقال أبوهريرة: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى
عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدا
أحسن في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما
الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث»^(١٥).

وتتعدد الروايات عن أوثق المحدثين والمؤرخين، تصف
جوانب من هيئة الرسول الخلقية»^(١٦)، كما تصف طريقته في
الملبس والمأكّل والمشرب، والكلام والتلاوة والمشي كما
تصف نقش خاتمه، ونعله، وخفه وسواكه ومشطه، وسيفه،
ودرعه وترسه، وأرماحه، وخيله وإبله وضحكه، وتبسمه
ومخالطته للناس، ومحبهه للقال الحسن، واستعماله الدهن،

والمرأة، ومحبة للطيب، وصفة خبزه ومائدته واختياره البقل
والخل، وأكله القديد، والشواء والتمر والعنب، وغسل يده،
وغير ذلك^(٣٧).

وهو تتبع دقيق - لهذا الجانب - يؤكد ما ذكرناه سلفاً عن
الوضوح النادر الذي تميزت به شخصيته التاريخية - في كل
الجوانب، بحيث لا يعتقد أن هناك من يدانيه في هذا الباب،
عليه الصلاة والسلام .

شخصية الرسول الخُلُقِيَّة :

إن النسيج الأخلاقي لمحمد رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - هو الآية البشرية العظمى في تاريخ هذا العالم .

إن جوهر القضية ليست في اتصاف محمد ببعض الأخلاق
الحميدة، فكم من أناس اشتهروا ببعض الأخلاق، وعرفوا
بها .

لقد عرفنا عن المرسلين، وعن بعض العظماء، اشتهارهم
ببعض الأخلاق .

والقرآن - نفسه - يصف المرسلين ببعض ما اشتهروا به :
فإسماعيل - عليه السلام - كان صادق الوعد :

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ

صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٢٨)

وعيسى عليه السلام - وصفه القرآن بالمبارك البار بامه .

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي

نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي

جَبَارًا شَقِيًّا ﴾ (٢٩)

وفي سورة الأنبياء يصف القرآن إسحاق ويعقوب بأنهما كانا

صالحين خيرين :

﴿ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۖ

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

الْخَيْرَاتِ ﴾ (٣٠)

وفي السورة نفسها يصف القرآن لوطا وداود وسليمان

بالعلم :

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٣١)

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٣٢)

وفي السورة أيضا - يوصف إسماعيل وإدريس وذو الكفل بالصبر :

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣٢)

وهكذا يصف القرآن - في سورة الأنبياء كما ذكرنا - عددا من الأنبياء ببعض الصفات . . لكن في ختام السورة نفسها عندما يصف محمدا فإنه لا يصفه بصفة جزئية وإنما يجعله - كله - هداية إلهية إلى العالم . . إنه رحمة لهذه الإنسانية أرسلها الله كما يرسل الشمس أو القمر :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣٣)

وفي موضع آخر يمدح القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام ، فيقول له :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣٤)

وبعض المفسرين^(٣٥) يرون أنه «النور» المقصود في قوله تعالى :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٣٦)

وهكذا تتجلى الخاصية التي ينفرد بها النسيج الأخلاقي

لمحمد الرسول . . إنه نسيج متكامل ، وإنه نظام أخلاقي متعانق الخيوط ، فليس ثمة خيط نشاز ، أو خيط من فصيلة مختلفة ، وإنما هي الحقيقة الأخلاقية الواحدة التي يتعامل بها الرسول مع الحياة والأحياء .

إن هذه الوحدة الأخلاقية التي تفرد بها الرسول تمثل جوهر رسالته إلى العالم ، قال عليه السلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣٨) وهي تفسر - في الوقت نفسه - معنى أنه رحمة ونور لهذا العالم . !! فالعالم الإنساني لا نور له ، ولا رحمة فيه إذا هو تجرد عن الأخلاق ، وإن أزمت الحضارات ، ما اندثر منها ومابقى إنما يعود إلى انحلال الأخلاق !!

ومن عجب أن ذلك الأمي ، اليتيم ، الفقير ، عاش أخلاقيا طول عمره ، لدرجة أنه كان ينادى بصفته الأخلاقية في الجاهلية ، فكان يطلق عليه (الصادق الأمين) . .

إن هذا النبي الأمي كان له كما يقول كاتب عربي نصراني - في مجال الأخلاق شئون وشئون ، وبالرغم من مهامه الجسام ، وأشغاله الكثيرة المتنوعة ، وبالرغم من الغزوات والسرايا والحروب ، فقد وجد الوقت الكافي ليلقى على المؤمنين - بأقواله وأفعاله - دروسا في شئون لائمه ببال مشول كبير في مثل مستواه وخطورته^(٣٩) .

فذلك العظيم الذي كان يحاول تغيير التاريخ ، ويعد شعبا
لفتح الدنيا من أجل الله . . ذلك الرجل وجد الوقت الكافي
ليلقى على الناس ، دروسا في آداب المجتمع وفي أصول
المجالسة وكيفية إلقاء السلام لكأنه معلم حصرت مهمته في
تثقيف بضعة وعشرين تلميذا ، ولم يكن له مهمة سواها^(٤) .

والوحدة الأخلاقية التي تمثل نسيج أخلاق محمد الرسول
(عليه الصلاة والسلام) ليست في أنه «أخلاقي» يمتاز
بمجموعة الأخلاق الإنسانية المتعارف عليها ، فلا يند عنه
خلق ، فهو الأمين إذا ذكرت الأمانة ، وهو الصادق إذا ذكر
الصدق ، وهو الوفي . . وهو الكريم . . وهو الشجاع ، وهو
الزاهد ، وهو المتواضع ، وهو الرحيم ، وهو البار ، وهو
الحكيم ، وهو الفصيح البليغ ، وهو العابد . .

إن هذه الوحدة الأخلاقية التي ترجمتها شخصية محمد
الاجتماعية ليست في هذا كله - وحسب ، بل - وهو الأهم -
في أنه - عليه السلام - لم يسمح للظروف الصعبة كل
الصعوبة - في أن تغير شيئا من نسيج أخلاقه ، ولم يجعل
لتقلبات حياته من شدة إلى يسر أى أثر في ذلك .

فأخلاقه فوق الظروف . . وفوق التقلبات . .

فإذا كان التاريخ قد ذكر أن قوم موسى من بني إسرائيل حين خرجوا من مصر أخذوا حلى المصريين ودائع ، ثم هربوا بها - فإن محمدا - وأصحاب محمد ماسمح لهم نظامهم الخلقي أن يفعلوا شيئا من ذلك ، بل إنهم تركوا أموالهم وديارهم للمشركين ، أما محمد فإنه أبقى عليا بعده ليؤدى الأمانات إلى أهلها ..

وما رأيك في أن الشخصية الأخلاقية لهذا النبي لم تسمح بأن يرد هذه الأموال وهذه الديار إلى أصحابها المسلمين بعد فتح مكة ... !!؟

- لماذا ؟

- لأنهم فقدوها في سبيل الله ، ولأنهم كُتبوا في سبيل هذا المغرم من المهاجرين السابقين الأولين .. فلا يجوز لهم أن يشوهوا هذا الشرف بطلب ما فقدوه في سبيل الله !!

- بل ما رأيك في أن النبي الوفى لم يقبل أن يأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ويعطيه لعلي بن أبي طالب .. حتى لا يعطى مقابلا ماديا للإسلام ويحرم آخرين من حقوق تاريخية عرفت لهم :

قال ابن اسحاق ، يصف ما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام بعد فتحه مكة :

- «حدثني أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . . يامعشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب . . يامعشر قريش : ماترون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك ياعثمان . اليوم يوم بر ووفاء»^(١) . . !!

فحتى في هذه اللحظة الفاصلة . . لحظة الانتصار الكاسخ ، لم يتخل محمد الرسول عن طبيعته الأخلاقية : العفو عن العتاة المذنبين . . والوفاء لأصحاب الحقوق . . والوقوف من أصحابه - المنتصرين - الموقف الصارم العادل .

- إنه لقادر على أن يلتزم الموقف الأخلاقي المناسب ، مهما

تكن اللحظة التاريخية حرجة وحاسمة . . إنه نبي يشرع بسلوكه ، وينطلق من منهج واضح وليس من (رد فعل) تمليه أو تفرضه أية ضواغط أو ظروف !!

لقد تحدث بعض الكتاب معددا الخوارق التي صاحبت الدعوة المحمدية فقال : « إن من أعظم الخوارق التي كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم أخلاقه ، فكانت في ذاتها أمرا خارقا للعادة بين بنى الإنسان ، فهي أعلى من أخلاق الملائكة لأن الملائكة حسن أخلاقهم بمقتضى كونهم : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وليس فيه روحانية عيسى عليه السلام المجردة ، بل كانت فيه الروحانية الإنسانية ، بما في الإنسان من مطالب الجسم وتجرد الروح ، فمحمد بين الناس الإنسان الذى تتجلى فيه الإنسانية الكاملة ، وفي طبعه روحانية إرادية^(١) .

وقد كانت صفحة حياته - عليه الصلاة والسلام - كما نقلت إلينا بكل دقة وتوثيق - أخلاقية إنسانية بلغت من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغ ، وكانت لذلك أسوة حسنة لمن هداه الله أن يحاول بلوغ الكمال الإنساني من طريق الإيمان والعمل الصالح . وأى سمو في الحياة كهذا السمو الذى جعل حياة محمد قبل الرسالة مضرب المثل في الصدق والكرامة والأمانة ، كما كانت بعد الرسالة كلها التضحية في سبيل الله

وفي سبيل الحق الذي بعثه الله به ، تضحية استهدفت حياته من جرائها للموت مرات فلم يصدده عنه أن أغراه قومه وهو في الذروة منهم حسبا ونسبا ، بالمال وبالمالك وبكل المغريات^(١٣) !!

والغريب أن هذه الإنسانية الأخلاقية قد طبقت على هذا النحو الخارق للعادة في أروع صور البساطة واليسر . فبدت - مع سموها - وكأن البساطة وعدم التقعر أو التكلف هي نسيجها الذي يجمع بين خيوطها المترابطة .

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما من لعنة تذكر ولا انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله ، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه إلا أن يسأل مأثما ، فإنه كان أبعد الناس منه ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما^(١٤)

وقد سئلت عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : كان يخيظ ثوبه ، ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم^(١٥)

وأخبر أبو بكر بن عبد الله بن أويس المونس . . قال : كانت

في النبي صلى الله عليه وسلم خصال ليست في الجبارين، وكان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه، وكان ربما وجد ثمرة ملقاة فيأخذها فيهوى بها إلى فيه وإنه ليخشى أن تكون من الصدقة، وكان يركب الحمار عريا ليس عليه شيء^(١١)

وكان خادمه أنس بن مالك يقول : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته، وكان لا يظلم أحدا أجره^(١٢)

وكان من عادته أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، وأن يمشى إلى كل من يجلس إليه حتى يظن أنه أحب أصحابه إليه .

وعن الحسن رضي الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزا من أراد أن يلقي نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف بعده

ويلعق والله يده^(٤٨)!!

وعن قيس بن أبي حازم أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه استقبلته رعدة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (هَوْنٌ عليك فإنني لست ملكا إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(٤٩)).

ومما يتصل ببساطته وإنسانيته الكريمة حبه للدعابة والمزاح والابتسام الودود، وقد رويت عنه في ذلك روايات كثيرة، منها قصته مع العجوز التي قال لها : أو ما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز؟ فلما ولت تبكى قال ردوها، وطمأنها بأنها ستعود بكرا شابة «إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا»^(٥٠)

وكان يسابق عائشة فلما سبقها بعد أن سبقته قال : هذه بتلك^(٥١).

وكان - عليه السلام - سمحا متواضعا واسع الرحمة بالضعفاء والبهائم، وقد سمع بكاء صبي وهو في الصلاة فخفف صلاته حتى لا تفتن أمه التي كانت تصلى وراءه .

ورأى جملا هزيلا فقال : اتقوا الله في هذه البهائم أطعموها واركبوها صالحة.

وكان زاهدا في الدنيا، وقصته مع عمر بن الخطاب معروفة ذائعة، فقد دخل عليه عمر رضي الله عنه يوما فراه على حصير قد أثر في جنبه ورفع رأسه في البيت فلم يجد إلا إهابا معلقا وقبضة من شعير وحصيرا تكاد تبلى، فبكى عمر، فقال له مايبيك يا ابن الخطاب؟ فقال عمر: يابى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، . وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته؟ فقال له الرسول: أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طياتهم في الحياة الدنيا^(٥٦)

وكان - مع ذلك كله - أشجع الناس، وقد فرغ أهل المدينة ليلة، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم وهو يقول: لن تراعوا!! وهو على فرس لأبي طلحة عرى في عنقه السيف: فجعل يقول للناس: لن تراعوا: وقال: وجدناه بحرا أو إنه لبحر يعنى الفرس^(٥٧)

وعن على رضي الله عنه قال: لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يؤمئذ، وعنه قال: كنا إذا احمر البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان أحد أقرب إلى

العدو منه^(٤٤)

وكان أوفى الناس بعهوده، وأوفاهم لأصحاب الأيادي، حتى ولو كانوا من أعدائه. ولا زال وفاء الرسول بشروط صلح الحديبية المجحفة أمرا يتناقله المؤرخون بإعجاب، وقد ظهر وفاؤه من اللحظة الأولى التي أعقبت توقيع الصلح. إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو «يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقبله الرسول عليه السلام، وقال له: (اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنا لا نغدر بهم)»^(٤٥)

وأما وفاؤه لأصحاب الحقوق فهو آية من آيات خلقه الباهرة، ومعروف في التاريخ قصته مع هوازن بعد موقعة حنين، فإن هوازن التي وقع نساؤها وأطفالها في الأسر لم تجد ما تشفع به إلا أن تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استرضع فيها. فكان تذكيرها للرسول بذلك، بعد ما أساءوا إليه أبلغ إساءة - سببا في إطلاق آلاف الأسرى^(٤٦)

وعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مرض الموت خرج إلى أصحابه في هذه اللحظات الصعبة، ليخطب فيهم،

ويقول لهم :

«يامعشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرا، فإن الناس يزدون، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد، وإنهم كانوا عييتي التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم»^(٥٧).

ولعل مما ينطبع في الذهن فلا يتحول، قوله عليه السلام بينما هو في محنة غزوة أحد، والمسلمون يدفنون شهداءهم عقيب المعركة :

«انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبدالله بن عمرو بن حرام فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فأجعلوهما في قبر واحد»^(٥٨)!!

إن هذه بعض ملامح شخصية الرسول الأخلاقية، وقد عمدنا فيها إلى الإيجاز الشديد، وإلى التركيز على بعض المواقف والنظرات الضرورية، ولقد أغنانا كتاب الشمائل والسير عن التفصيل، والجدير بالنظر في نهاية هذا العرض - أن قيمة هذه الأخلاق قد تجلت في وضع كل خلق في موضعه الصحيح، دون أن تختل النسب والموازن التي تستحقها القيمة الأخلاقية في ظرفها المناسب، وقد بدت أخلاق الرسول - في مجموعها - على هذا النحو، وكأنها عقد جميل

منسجم الحيات يتوج جبين الإنسانية، ويطلعها - في الوقت نفسه - على المستوى الإنساني الرفيع الذى يمكنها أن تدنو منه . . . وأن تتأسى به الأسوة الكريمة الحسنة في إطار من التواضع والبساطة والرفق، لأن النظام الأخلاقي لمحمد يعتمد الرفق أساسا في المعاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والحيوان وبين الإنسان والجماد^(٩) . . . وهو يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» ويقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى» .

ويقول عن جبل أحد: «أحد جبل يحبنا ونحبه» . . .
فهل رأت البشرية أرقى من هذه النظرة الأخلاقية الكونية الشاملة التى تنتظم كل من في الحياة . . . وما في الحياة!!!
إنها نظرة أخلاقية واحدة من مصدر واحد، وتعتمد على وسيلة واحدة، وتهدف لغاية واحدة .

إن شخصية الرسول الأخلاقية (عليه الصلاة والسلام) هى التى وقفت في وجه المشركين ثلاثة عشر عاما بمكة فلم تعجز، ولم تهن، ولم تيأس، وهى نفسها التى فاضت في المدينة على شئون الدنيا، فدلّت على ما فيها من الحيوية والقوى التى جعلتها أهلا للتغلب على كل معضلة، في وقتها ومناسبتها . . .

تلك القوى والصفات التي لم تجتمع لأحد من قبله ولا بعده، جعلته - عليه الصلاة والسلام - «ومن أية ناحية نظرت إليه» مثلاً كاملاً، وأسوة حسنة، بل من مجموع هذه القوى والصفات يبرز للناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (سواء أكان في أيام الدعوة المجردة عن السلطة أم في أيام الدعوة المصحوبة بالجهاد في المدينة) ذاتاً موفقة ناجحة، انصرفت إلى الله بكليتها فجعلته أمامها، ووضعت ماعداه وراءها.. هو في كلتا القريتين الناسك العابد، الباكي بين يدي خالقه، وهو فيها الزاهد، يعرض عليه أصحابه أن يوطئوا له فراشا، فيقول: مالي وللدنيا !! ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها^(١).

× × ×

- وتلك بعض أبعاد شخصية الرسول الأخلاقية..
- المتكاملة الشاملة !!
- فعلى النبي الأُمى الذى بعث ليتم مكارم الأخلاق
- أفضل الصلاة وأزكى السلام .

شخصية الرسول أمام المقاييس العامة :

عمد مؤرخو السيرة النبوية في القديم والحديث إلى الإشارة إلى المقاييس الأساسية التي تبنى عليها العظمة الإنسانية، ولئن كانت إشاراتهم مجملة، إلا أن ذلك لا ينقص من قيمة هذه الإشارات، فالإجمال الذي اهتموا به في ذكر المقاييس قد أغنى عنه تتبعهم الدقيق لصفات الرسول صلى الله عليه وسلم الجسمية والخلقية تتبعاً استقصائياً، لم يتحقق لشخصية غيره في تاريخ الأنبياء والعظماء، وقد تسابقوا في ذلك، وصنفوا في شمائله كتباً مستقلة أبرزها ما جمعه الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، في كتابه المعروف بكتاب (الشمائل)، والحافظ ابن عساكر في شرحه للترمذي، والإمام المزني في تهذيب الكمال، فضلاً عن أبواب الشمائل في كتب الحديث المعتمدة، وماورد في سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية وغيرها.

وقد شاع بين المحدثين ومؤرخي السيرة ذلك المقياس المعروف المجلل الثابت في النظر إلى شخصية الرسول . . إنه المقياس الذي يتلخص في عبارة زوجه عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه فأجابت: «كان خلقه القرآن» .

ففي رواية اسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن يونس عن الحسن قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن^(١).

وفي رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال: قلت لعائشة أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أأستقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، قال قتادة: وإن القرآن جاء بأحسن أخلاق الناس^(٢).

وقد فطن المحدثون ومؤرخو السيرة النبوية إلى الفرق في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مستويين: مستوى النبوة، ومستوى الإنسانية.

فقد ورد في كتاب الشفاء للقاضي عياض أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دينوي اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني، وهو ما يحمده فاعله، ويقرب إلى الله تعالى زلفى، ثم هي على فئتين أيضاً، منها ما يتخلص لأحد الوصفين، وما يتمازج بتداخل، فأما الضروري المحض، فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلة عليه الصلاة والسلام من كمال خلقته، وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه - وقوة

حواسه وأعضائه واعتدال حركاته ، وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه . . .

ويلحق به مائدعو ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه .

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والفضائل الشرعية من الدين والعلم والحلم ، والصبر والشكر ، والعدل ، والزهد ، والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الخلق ، والمعاشرة وأخواتها ، وهي التي جماعها حسن الخلق^(٣٧) .

ومن هذا النص نرى أن مقياس القاضي عياض يفرق بين المستوى الذي هو هبة من الله . . . ولا مجال للمقياس عليه ، والمستوى الإنساني المكتسب من توجيهات الدين . . . لكن هذه التفرقة وإن كانت لها أهميتها في الجانب التربوي والتعليمي ، لا أهمية لها في جانب تقويم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فشخصيته كل لا يتجزأ من ناحية تكوينها الخاص ، وأعمالها الانعكاسية ، التي تعبر عن جماع العظمة ، وعن كينونته كرَسُول وإنسان في آن واحد .

على أن آفاق الرسول الإنسانية آفاق فسيحة تعطينا نموذجاً كاملاً لدورة من الحياة تتعدد فيها المواقف والأبعاد ، ولا نكاد

نتوجه إليها بموقف من المواقف أو مشكلة من المشكلات إلا ونجدها تعطينا الحلول المثلى التي تليق بإنسانية الإنسان حين يسمو إلى أقصى القمة التي يمكن أن تصعد إليها النفس الإنسانية .

ولئن كان محمد - الرسول - صلى الله عليه وسلم - أبعد من أن ترنو إليه البشرية أو أن تسعى للوصول إلى درجته، لأن درجته - كرسول إنما هي درجة اصطفاء محض والله أعلم حيث يجعل رسالته^(١١) ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١٢)

فإن الجانب الآخر من شخصية محمد - الإنسان - إنما يشكل إطارا فسيحا يستطيع أن يرنو إليه كل إنسان، بل إنه لمن الواجب أن يرنو إليه وأن يحاول تمثله والتخلق بخلق

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١٣) ..

وليس معنى ذلك أن ثمة انفصالا ملموسا في شخصية الرسول بين جانبي النبوة والإنسانية، بمعنى أنه عليه الصلاة والسلام، يمكن أن يبدو في بعض الأحيان ملائكيا خارجا عن نطاق البشر في سلوكياته - إذا كان في موقف من مواقف النبوة - أو أن ينزل إلى مستوى بشري لا يليق بسموه إذا كان في

موقف من مواقف الإنسانية . . كلا، فإن شخصية محمد قد رشت بالجانبيين في سياق واحد، وهذا معنى الربط القرآني الدائم في شخصية الرسول بين البشرية والرسالة

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٧٧)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾^(٧٨)

ونحن نعرف من تاريخ بعض الهداة أنهم فصلوا - في الحياة - بين جوانب وجوانب، كما أننا نعرف أن إحدى الديانات الكبرى قد انحرف بها أصحابها، فجعلوا من نبيها «عيسى عليه الصلاة والسلام شبه إله».

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ النَّصَارَىٰ

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٧٩)

وبالتالي فقد ضاع معنى «الشخصية الإنسانية النموذجية» الذي يمكن أن يتأسى بها، وقد أغرقت - بالوهيتها المزعومة - في البعد عن واقع الناس، وعن إمكانية أن تكون مقياسا لهم، وكان من أثر ذلك أن ضاعت ملامحها وأبعادها . . . وانحصرت في دائرة محدودة - في جانب - وفقدت تأثيرها الشمولي الإنساني الملموس في جانب آخر.

أما شخصية (محمد الرسول عليه الصلاة والسلام) فقد رآها الناس نموذجاً حياً متحركاً يواجه الحياة في شكلها العادى يأكل الطعام ويمشى في الأسواق، ويجوع، ويتزوج، ويغضب ويحارب ويزور الأرملة والمريض، إلى آخر الأحوال والعوارض التى تلم بحياة الناس كلهم . .

والمهم أنه يواجه كل هذه الجزئيات المعاشية بمنهج النبوة، مقدماً للناس الأسوة السوية التى تحافظ على معالم منهجها مهما تباينت الأحوال واختلفت الظروف .

يقول الأستاذ سليمان الندوى، مصوراً هذه الخاصة التى بهرت الباحثين المنصفين، مسلمين وغير مسلمين، والتى مثلت إطاراً فريداً فى شخصيات التاريخ البشرى كله . . . يقول :

«كان الواعظ الذائع الصيت الأستاذ حسن على رحمه الله يصدر فى (باتنة) قبل خمسين عاماً مجلة (نور الإسلام) وقد قال فى جزء منها إن صديقاً له من البراهمة قال له : إني أرى رسول الإسلام، أعظم رجال العالم وأكملهم، فقال له الأستاذ حسن علي :

- وماذا كان رسول الإسلام عندك أكمل رجال العالم ؟

فأجاب: لأنى أجد في رسول الإسلام خللا مختلفة، وأخلاقا جمّة، وخصالا كثيرة: لم أرها اجتمعت فى تاريخ العالم فى إنسان واحد فى آن واحد: فقد كان ملكا دانت له أوطانه كلها: يصرف الأمر فيها كما يشاء. وهو - مع ذلك - متواضع فى نفسه: يرى أنه لا يملك من الأمر شيئا، وإن الأمر كله بيد ربه. وتراه فى غنى عظيم: تأتبه الإبل موقرة بالخزائن إلى عاصمته، ويبقى مع ذلك محتاجا، ولا توقد فى بيته نار لطعام الأيام الطوال. وكثيرا ما ينطوى على الجوع. ونراه قائدا عظيما: يقود الجند القليل العدد، الضعيف العدد، فيقاتل بهم ألوفا من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة، ثم يهزمهم شر هزيمة. ونجده محبا للسلام مؤثرا للصلح، ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن، وجأش هادى، ومعه ألوفا من أصحابه: من كل شجاع باسل، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه، ونشاهده بطلا شجاعا: يصمد وحده لآلاف من أعدائه، غير مكترث بكثرتهم، وهو مع ذلك رقيق القلب، رحيم رؤوف، متعفف عن سفك قطرة دم. وتراه مشغول الفكر بنجيزة العرب كلها، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده، ولا من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم، ويهتم بأمر الناس الذين نسوا خالقهم وصدوا عنه فيحرص على إصلاحهم. وبالجملّة إنه إنسان يهيمه أمر العالم

كله، وهو مع ذلك متبتل إلى الله، منقطع عن الدنيا، فهو في الدنيا وليس فيها، لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله . لم ينتقم من أحد قط لذات نفسه، وكان يدعو لعدوه بالخير، ويريد لهم الخير . لكنه لا يعفو عن أعداء الله، ولا يتركهم، ولا يزال ينذر الذين صدوا عن سبيل الله ويوعدهم عذاب جهنم، وتراه زاهدا في الدنيا عابدا يقوم الليل لذكر الله ومناجاته، إنك لتراه الجندى الباسل المقاتل بالسيف . وتراه رسولا حصيفا، ونبيا معصوما، في الساعة التي تنصوره فيها: فاتحا للبلاد ظافرا بالأمم، وإنه ليضطجع على حصير له من خوص، ويتكىء على وسادة حشوها من ليف، حينما يخطر على بالنا أن ندعوه بسلطان العرب، ويكون أهل بيته في فاقة وشدة، عقب استقباله الأموال العظيمة: آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية، فتكون في فناء مسجده أكواما وتأتيه ابنته وفلذة كبده فاطمة: تشكو إليه ماتكابه من حمل القرية والسطحن بالرحى، حتى محلت يدها وأثرت القرية في جسمها، والرسول - يومئذ - يقسم بين المسلمين، ما أفاء الله عليهم من عبيد الحرب وإمائها، فلاتنال بنته من ذلك، إلا دعاء لها بكلمات يعلمها كيف تدعو بها ربها»^(٢)

من هنا فإننا يجوز لنا أن نصف شخصية الرسول بكل النعوت الإنسانية الفاضلة، فتحدث عنه زوجا، وأبا، وقائدا،

وتاجرا، وعبقريا .

وفي المقابل فإن لنا أن نتحدث عنه نبيا معصوما لا ينطق
عن الهوى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾^(٧١) ، ومعلما لا يزيغ
ولا يضل ، ومشرعا عظيما يأمرنا القرآن باتباعه

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَنَذِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾^(٧٢)

﴿ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٧٣)

ولسنا نجد أدنى شبهة تعارض بين جانبي شخصيته عليه
الصلاة والسلام .

ولقد ظن بعض الناس أن مكانة محمد الرسول لا تُجيزُ أن
ننته بيبعض الصفات البشرية الكريمة، كالعبقرية، والنبوغ،
والأريحية مثلاً . وهذا منهج خاطيء فإن شرف الرسالة
ومهمتها العظمى لا يجوز أن يرقى إليها إلا إنسان نقي عظيم
مؤهل لكي يؤدي الأمانة ويحمل تبعية تمثيل الرسالة في
الحياة، وعلى خير وجه ممكن . ومهما كان من قول بعضهم
في حادثة (شق صدره) عليه الصلاة والسلام، وهي الحادثة
التي تكررت في حياته مرتين : مرة وهو دون الخمسة أيام حين
كان عند حليلة في بادية بني سعد، ومرة وقد جاوز الخمسين،
وهما حادثتان أكد أولاهما مسلم في صحيحه، وأحمد في

مسنده والحاكم وابن جرير الطبري المؤرخ، وأكد ثانيتهما البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، والنسائي من حديث مالك بن صعصعة.

نقول : مهما يكن من قول بعضهم^(٧٤) في هاتين الحادثتين من الناحية التاريخية - فإن العبرة المستخلصة من هذه الحادثة - أن بشرا ممتازا كمحمد لا تدعه العناية الإلهية غرضاً للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس، وإنها لا تختار للغاية العظمى إلا نفساً عظيمة^(٧٥).

ومن هنا فقد كانت سيرة محمد قبل البعثة سيرة إجلال وأريحية، ولم يعرف أنه صلى الله عليه وسلم شارك في صفائر أو فساد قط .

فالعظمة الإنسانية - بكل مقاييسها الصحيحة - صالحة لأن تطبق عليه، ودلائل النبوة - من جانب آخر - ناضجة في كل مسيرته الإنسانية .

والفرق بين النبوة والعظمة هو أن مقاييس الكمال في النبوة لا تقاس بمن في الأرض، ومقاييس العظمة تقاس بمن في الأرض، والنبوة سماء تتكلم نورا، والعظمة تراب يصعد غرورا إلا أن العظمة المستمدة من النبوة نور من الأرض يتصل بنور السماء^(٧٦)، وليس وصف النبي بالعظمة أو العبقريته معناه أن

النبوة من جنس هذه العبقرية أو البطولات - كما وهم بعضهم - لكن يراد به مجموعة الملكات والمواهب والاستعدادات التي فطر الله نبيه عليها، فهي له نور في الأرض، قبل أن يتصل به نور السماء، ومن هنا كان مبدأ العصمة عن الكبائر قبل النبوة وبعدها^(٧٧).

ويقول الأستاذ (عباس محمود العقاد)، في دفاعه عن وصفه لمحمد بالعبقرية في كتابه الموسوم باسم (عبقرية محمد) يقول :

«ولهذا كان تقدير محمد بالقياس الذي يفهمه المعاصرون ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين نافعا في هذا الزمن الذي التوت فيه مقاييس التقدير، إنه لنافع لمن يقدرون محمدا - عليه الصلاة والسلام - وليس بنافع لمحمد أن يقدروه، لأنه في عظمتة الخالدة لا يضار بإنكار، ولا ينال منه بغى الجهلاء إلا كما نال منه بغى الكفار . وإنه لنافع للمسلم أن يقدر محمدا بالشواهد والبيانات التي يراها غير المسلم فلا يسعه إلا أن يقدرها ويجرى على مجراها فيها لأن مسلما يقدر محمدا على هذا النحو يجب محمدا مرتين :

مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم السمائل الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس^(٧٨) .

فلا ضير إذن في أن نتحدث عن السمائل الإنسانية عند النبي صلى الله عليه وسلم تحت أى عنوان، لنذل على أن محمداً كان عظيماً بكل مقياس، وأن حظه من التوقير والاحترام والإعجاب، ومكانته في التقدم على عظماء الأرض، يجب أن يشارك فيها المسلم وغير المسلم، ويضاف إلى هذا أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل من سمائل محمد سمائل إنسانية بكل عرف، وبكل مقياس وبكل تقدير، وفي جميع الأمكنة والأزمان إلا ليدلّ على أنه نبي الإنسانية الكامل، ومثلها الأعلى، وملاذها الأخير^(٣) صلى الله عليه وسلم.

وها هي القرون تتابع، ومنكروا عظمته يتضاءلون، وجوانب نبوته تزداد تألقاً، وشهادات الخصوم - قبل الأنصار - أصبحت تلقف الأكاذيب والتلفيقات التي أحيطت بها سيرته، بحيث لم يجد (مايكل هارت) سنة ١٩٧٨ م - وهو النصراني - بداً من أن يضعه على رأس قائمة العظماء في التاريخ .

إنه «الأول» بعد أن كان محمد عليه الصلاة والسلام في (جحيم) «الكوميديا الإلهية» للشاعر المعروف (دانتي) خلال القرون الكنسية الوسطى !! وكأن (مايكل هارت) كان يتوقع دهشة مواطنيه الأمريكان، حينما جاء محمد «الأول» في

التاريخ فهو يحاول - جاهدا - أن يبرر النتيجة التي انتهى إليها
البحث فيقول :

«إن اختياري لمحمد ليكون في رأس القائمة التي تضم
الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف
المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيرا من القراء إلى
حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن
محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل
أسمي، وبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»^(٨٧).

وقبل (مايكل هارت) دوت خلال النصف الأول من القرن
العشرين للميلاد (الرابع عشر للهجرة) كلمات الكاتب
والفيلسوف الأيرلندي المشهور (برناردشو) التي نظر فيها إلى
عظمة (محمد الرسول) بالمقياس الإنساني العام، ولم يملك
إلا أن يخاطب بني قومه ويقول :

«لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي،
بسبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه
حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن
يكون جذابا لكل زمان ومكان».

ثم استطرده يقول :

«لا مشاحة في أن العالم يعلق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا في الغد القريب، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم. ولقد صور أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان: إما بسبب الجهل أو بسبب التعصب الذميم .

ولقد كانوا - في الواقع - يمرنوننا على كراهية محمد وكراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح .

ولقد درسته باعتباره رجلا عظيما - فرأته بعيدا عن مخاصمة المسيح - بل يجب أن يدعى : منقذ الإنسانية .

وإنى لأعتقد أنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث، لنجح في حل مشكلاته، بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما . . .

ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون، أمثال كارلايل وجوته . . . القيمة الذاتية لدين محمد . وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام . ولكن أوروبا - في القرن الراهن - تقدمت في هذا السبيل كثيرا، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفي القرون القادمة، قد تذهب أوروبا إلى أبعد من ذلك، فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل

مشاكلها، بهذه الروح يجب أن تفهموا نبؤتي»^(٨١)

انتهى مانقلناه عن برناردشو وفيه عظيم الدلالة لمن ألقى
السمع . . وهو شهيد .

وهكذا كما رأينا من تحليل البرهمي ومايكل هارت
وبرناردشو - تقف (شخصية محمد الرسول) - فذة سامقة . .
أمام كل العصور والأماكن والمذاهب . . وأمام كل المقاييس
الإنسانية الصحيحة .

فعليه الصلاة والسلام .

التأثير الأخلاقي للرسول في التاريخ :

حفظ لنا التاريخ سيرا كثيرة ، وقدم لنا عشرات الفاتحين والقواد وبناء الدول وقد حفظت لنا - كذلك - الكتب المقدسة ، وبقايا التاريخ ، سير كثير من الأنبياء والمرسلين . . .

وقد بقى في حياتنا المعاصرة من آثار الأول الشيء الكثير ، على الأقل من الناحية الإسمية ، فلا يزال هناك نصارى يقترب عددهم من ضعف عدد المسلمين ، ولا زال هناك يهود يمثلون (٢٥ في الألف) من عدد المسلمين . . . ولا زال هناك . . . بوذيون وبراهمية . . بل وفي الأرض عدد يربو على عدد المسلمين من الشيوعيين والعلمانيين الملاحدة .

ولكن الحقيقة أنه لا جماعة من هذه الجماعات تنتمى الانتماء العجيب لدينها ولنبيها ولحضارتها مثل المسلمين .

فإن النصرانية في الاتحاد السوفيتي بعد ظهور الثورة البلشفية بالرغم من وقوف أمريكا وأوربا وراءها قد استسلمت استسلاما مهينا ، بينما بقى المسلمون يقاومون - ولا يزالون - أعتى نظام بوليسى إرهابي !! .

يضاف إلى ذلك أن الكثرة من النصارى - باستثناء

الأقليات - قلما تفكر في هويتها النصرانية ، بل إنها في أمريكا وأوروبا الغربية، تجعل من «العلمانية الليبرالية» الدين الرسمي ومنهج الحياة، وليس للنصرانية تأثير إلا في بعض المظاهر الساذجة ولدى العجزة . . ولا تكاد تشم - بعد ذلك - أى تأثير للمسيح ولا لإنجيله المفقود!!

ويقال في بقية المذاهب والأديان ما يقال في النصرانية باستثناء اليهود الذين يخضعون لقانون الأقليات، ويحاربون ضد الذوبان في العالم، ومع ذلك فقد نسبوا إلى موسى عليه السلام صورا سيئة من الأخلاق لا تجوز على نبي كريم معصوم .

لكن، من بين كل الملل والنحل التى ظهرت فى التاريخ، يقف الانتماء الفكرى والوجداني الإسلامى؛ ثابتا كل الثبات، ومكافحا كل الكفاح، من أجل ذلك الدين الذى مثله بأخلاقه، وطبقه على نفسه، قبل أن يدعو الناس إليه ذلك النبي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام .

ولو أتيح للألف مليون مسلم أن يختاروا اختيارا حرا صحيحا. مناهج حياتهم ودستور دولهم والشرعية التى تحكمهم والمثل الأعلى الذى تدور حوله أخلاقهم - لما اختاروا - وبكل حب ولهفة - إلا إسلامهم، وإلا شريعتهم الإسلامية، وإلا

إمام حضارتهم ومثلهم الكامل الأعلى محمدا عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا تتكتل القوى العالمية ضد ذلك اليوم ، وتقف بكل الطرق حائلا دون تحقيق أمل الأمة الإسلامية العظيم .

إن العلاقة بين محمد الرسول (عليه الصلاة والسلام) وبين المسلمين علاقة من طراز فريد في التاريخ . . . إنها علاقة أخلاقية أساسها :

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوَكُنْتَ فَعْظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقْضُ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ^(٨٦) . . .

أى أنها علاقة رحمة وحب ، وليس فيها شيء من أشياء هذه الدنيا - فإنه - عليه السلام - ما كان لديه شيء يغريهم به ، بل إنه كبدهم الأموال والدماء والأولاد والزوجات . .

إنه كلف المهاجرين الكثير . فقد تركوا عزهم وأمنهم ومالهم في مكة ليهاجروا مرتين إلى الحبشة ، لا يعرفون ماذا سيكون مصيرهم ، ثم هاجروا إلى المدينة ، تاركين أموالهم وديارهم . . بل إن بعضهم (كصهيب الرومي) تنازل للمشركين عن أمواله في سبيل أن يتركوه يلحق بالرسول .

أما الأنصار فقد تكلفوا الكثير دون أن يكون في ذهنهم

انتظار أدنى مقابل . . . إنهم عاهدوه في العقبة الثانية على أن يحاربوا الدنيا كلها - لو وقفت في طريق دعوته، وقالوا : نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف^(٨٧) - مع أنهم كانوا قلة أمام قريش واليهود وبقية القبائل الوثنية في الجزيرة .

وقد نزل الرسول والمسلمون عليهم فشاركوهم في أموالهم ودورهم ، وقد تنازلوا لهم - وللرسول - عن كل شيء حبا وطواعية ، حتى استحقوا أن ينشئ القرآن عليهم بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٨٨) ﴾ !!

ومع ذلك فهؤلاء الأنصار لم تقع الخلافة فيهم بعد وفاته ، ولقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا حين أوصى بهم خيرا في خطبته في مرض الموت ، والأعجب من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعطهم شيئا يذكر عندما انتصر في موقعة (حنين) وأعطى معظم غنائمها للمؤلفة قلوبهم . . . ولما وجدوا في أنفسهم من هذا الأمر الذي كان كفيلا في أي ظرف تاريخي آخر أن يحدث انشقاقا خطيرا . . . خطبهم رسول

الله خطبة تعتبر آية من آيات الحب الذي يسمو فوق عوارض الدنيا .

لقد جمعهم الرسول وقال لهم :

يامعشر الأنصار: ما قالة بلغتنى عنكم ؟ وجدة وجدتموها على في أنفسكم ألم آتكم ضللا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى : الله ورسوله آمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ - قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ . . قال صلى الله عليه وسلم : «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم : آتينا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فأويناك ، وعائلا فأسيناك ، أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٨) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم .

ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رجالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار - فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا^(٩) .

إن هذه الخطبة التي ملأت لحي الأنصار دموعا هي دليل

من تلك الأدلة الكثيرة على تفرد ذلك التأثير الأخلاقي الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . . . إنه أثر يتميز في نوعه وجوهره عن كل الآثار والعلاقات التي ظهرت في التاريخ ، فهذا الأثر الأخلاقي قد أحدث انقلابا اجتماعيا قاده محمد بعمله ومثله وشخصيته الفذة ، فتعلق الناس به ، وتركوا من أجله جاهليتهم وآباءهم وأبناءهم^(٨٧) .

أجل . . . لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام قائدا أخلاقيا تهوى إليه أفئدة الناس وتتعلق به ؛ إذ كان في القمة من كمال النفس وجمال الخلق والشمائل الكريمة ، وكان على أعلى قمة الشرف والنبل والخير والفضل^(٨٨) . وهي مؤهلات القيادة الأخلاقية السامية .

وقد أحبه أصحابه حب الهيام ، وحل منهم محل الروح والنفس ، وشغل منهم مكان القلب والعين ، فكان الحب الصادق يندفع إليه إندفاع الماء إلى الجذور^(٨٩) . كما يقول بعض المؤرخين .
وما أحبه أصحابه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال لم يرزق مثلها أحد .

عن أنس بن مالك (خادم رسول الله) قال : «لما كان اليوم الذي دخل النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة أضاء منها

كل شيء . فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم فيها كل شيء
وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا^(٩)

إنها بشاشة العاطفة الغامرة ينضح بها كلام خادمه أنس ،
فقد صبغت هذه العاطفة الآفاق بألوانها الزاهية مرة ، وبسوادها
الكابي على كل شيء مرة أخرى .^(١٠)

وفي المواقف الصعبة التي يفر فيها المرء من أخيه وأمه وأبيه
أثبت فيها المسلمون جهم النادر لمحمد الرسول ، ففي
اللحظات العصيبة في غزوة أحد ، حينما أحاط المشركون
بالرسول ، وأصابوا رباعيته اليمنى السفلى ، ووجنته وشج في
رأسه . . في هذه اللحظات قام المسلمون ببطولات نادرة ، فقد
كان أبوطلحة يسور نفسه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
ويرفع صدره ليقيه عن سهام العدو ، وهو يقول للرسول : نحري
دون نحرك .

وقام أبودجانة أمام الرسول فترس عليه بظهره والنبيل يقع منه
وهو لا يتحرك .

وتبع حاطب بن أبي بلتعة عتبة بن أبي وقاص الذى كسر
الرباعية الشريفة فضربه بالسيف حتى طرح رأسه ، ثم أخذ
فرسه وسيفه . وكان سعد بن أبي وقاص شديد الحرص على
قتل أخيه عتبة إلا أنه لم يظفر به بل ظفر به حاطب . وامتص

مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدرى الدم من وجنته صلى
الله عليه وسلم حتى أنقاه، فقال : مجّه فقال : والله لا أمجّه
أبدا، ثم أدبر يقاتل فقتل شهيدا^(١١)

وقد نعى إلى امرأة من بنى دينار زوجها وأخوها وأبوها في
أحد، فقالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا
خيرا يأم فلان، فقالت : كل مصيبة بعدك جلل (أى
صغيرة)^(١٢)

وإن أى كاتب لا يستطيع أن يتتبع الأثر الأخلاقي لشخصية
الرسول صلى الله عليه وسلم إلا إذا تتبع تفاصيل رحلته في
الحياة كلها، وإلا إذا تتبع - كذلك - حياة أصحابه وتفاصيل
علاقتهم به .

ففي حياة كل منهم - معه - صور من الحب لا يتناول
إليها . . . في حياة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومصعب
بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وخبيب
بن عدى، وزيد بن الدثنة . . . وكما يقول كاتب «عربي
نصراني» : إن من ينعم التفكير في سيرة محمد بن عبد الله
رسول الله ونبيه، صلى الله عليه وسلم - يرى نفسه منساقا إلى
الإقرار بأن ماحققه وقام به يكاد أن يكون من دنيا غير التي
يعرفها البشر ويألفون . . .

لقد استطاع محمد خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن أن يحدث ثورة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة^(١).

ويتابع الكاتب النصراني العربي المنصف، شهادته الرائعة فيقول :

لقد أعاد - أي محمد - الله إلى قلوب البشر، وهم الذين استبدّت الوثنية بقلوبهم مئات السنين، راحوا في خلالها يعبدون الأصنام والأشياء، أو يشركونها بعبادة الله، فأدت إلى إخراج الله من قلوبهم، بل من خواطرمهم وعقولهم، وغدت بالنسبة إليهم، إرثا مقدسا، يتصل بالأبناء عبر الآباء، وبالأبناء عبر الجدود حتى أبعد حلقة في السلسلة الممتدة إلى غيب الزمان، ذاك التراث - أو ذاك الإرث - محاه محمد وأزاله بقدرة قادر، فإذا المؤمنون يموتون بل يستطيعون الموت في سبيل الله، من أجل نشر دين الله في البشر .

- أولئك القوم المحاصرون همومهم في كرفر، القاصرون نشاطهم على سبي وجناء مغانم، المنصرفون إلى الدنيا بما احتوت، المتقاتلون، المحاربون، المتباغضون، العائشون عيشة البدو والمتخلفين، ماذا دهاهم ليصبحوا، في خلال بضع سنين، قدوة ومثلا في الإيمان والتقوى، في عبادة الله

الذى لا كفوء له ولا شريك، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين،
المقرر المصائر، الغفور، القدير، البصير ؟

أجل . ماذا دهاهم حتى غدوا بشرا يقدسون القيم
الأخلاقية ويغدون تجسيدا لتلك القيم ؟ فإذا الزهد بالدنيا،
والبر بالعهد، والصدق والنزاهة والحلم والرفق والدعة، إلى
جانب الجراءة واستطابة الموت من أجل الحق والخير، تغدو
جميعها بعضا ممّا اتّصف به رجال أمثال أبي بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى ابن أبي طالب،
وكثيرين كثيرين في تلك القافلة الفريدة في التاريخ .

ماذا دهاهم حتى غدوا، فى خلال تلك الحقبة القصيرة من
الزمن، شعبا واحدا، بل صفّا واحدا وقلبا واحدا، وهم الذين
كانوا يصرفون معظم أوقاتهم فى الاقتتال والتنافر والتباغض
لأتفه الأسباب ؟

ماذا دهاهم حتى ارتضوا - وهم المنتسبون إلى قبائل كثيرة
خضبت الدماء تاريخ علاقاتها - أن يخضعوا لرجل واحد،
فلا يناقشوا له رأيا ولا يعصوا له أمرا ؟ .

وأية قوى زخروا بها حتى استطاعوا، وهم الذين لم يتمرسوا
إلا بقتال بدائي، من كرّ وفرّ، أن يخضعوا أعظم امبراطوريتين

بل أرقى وأعرق امبراطوريتين في سنين من الزمن معدودة ؟

ذلك الشعب البدائي ، المتخلف ، غير المستقر ، والذي لم يسبق له أن تجاوز حدود الجزيرة بل حدود مناطق ضيقة منها ، يصبح في سنين قليلة حاملا مشعل هدى وحضارة ظل العالم يستضيء به مئات السنين ، وإذا العالم ، في ذاك الزمن ، يتطلع إلى دمشق وبغداد والأندلس والقاهرة والقيروان تطلع شرقنا اليوم إلى باريس ولندن وبرلين ونيويورك وسواها من المدن التي تتولى ، في عصرنا الحاضر ، قيادة العالم فكريا وحضارياً .

إن تفسيرنا لهذه الظاهرة - المعجزة ، نوجزه بأن ذلك الشعب استسلم لله وآمن بنبيه ، بجميع ما يحتويه هذان التعبيران ، الاستسلام والإيمان ، من معان ومعطيات .
تلك كانت عظمة الإسلام ، وتلك كانت عظمة محمد^(ص) .

إن هذه شهادة حق من كاتب نصراني عربي عاش في منطقة من أبرز مناطق الصراع بين الإسلام والنصرانية . لكنه نجح في تخطي أسوار الكذب . . والوصول إلى لب الحقيقة . . . فكانت هذه هي شهادته !!

أما صاحب «الأوائل» الأمريكي النصراني الذي جعل

محمدا «أول عظماء التاريخ» فإنه يعزو ذلك - بالدرجة الأولى - وحسب منهجه العملى - إلى أن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذى نجح بشكل أسمى وبرز في كلا المستويين الدينى والدنيوى وأنه أسس ونشر أحد أعظم الأديان في العالم وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظماء، وأنه بعد مرور ثلاثة عشر قرناً لازال تأثيره قويا وعارما^(١٧).

وبالمقياس نفسه يشهد لمحمد المؤرخ العالمى الشهير «ول ديورانت» فيقول :

«وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألفت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أى مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنساناً غيره حقق كل ما كان يحلم به، وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذى سلوكه^(١٨)، فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدداء، تسكنها قبائل من عبدة

الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة، واستطاع في جيل واحد أن يتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»^(٩٨)

ونكتفى بهذه الشهادات الثلاث التي نعتقد أنها تصوير لبيان أثر محمد عليه الصلاة والسلام في التاريخ وفي الحضارة الإنسانية على امتداد أربعة عشر قرناً . .

وما عمدنا إلى ذكرها إلا لنبين أن محمداً الرسول (عليه الصلاة والسلام) صاحب شخصية نموذجية عظيمة في التاريخ، وأن هذه الشخصية لم تكن - وحدها - في قمة السمو الإنساني لاعتبارات عاطفية إسلامية، أو من وجهة نظر إسلامية فحسب، وإنما هي كذلك بالمقاييس العامة للشخصية . . سواء في وضوحها التاريخي الدقيق، أم في تأثيرها الإنساني العام الممتد في الزمان والمكان . . وسواء في «الكم» التأثيري الهائل، أم في «الكيف» النادر الأتباع الذين لم يفز بمثلهم أى عظيم في التاريخ .

وبالتالي يصبح بدهيا ومنطقيا ومن مسلمات التاريخ أن
نقول: إن شخصية محمد - بكل المقاييس الإنسانية العامة -
أعظم شخصية في التاريخ
وصلى الله على محمد النبي الرحيم والإنسان العظيم وعلى
أتباعه وآله وسلم . . .

المواش

- (١) انظر مايكل هارت : دراسة في المائة الأوائل : ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ص ١٦ . نشر دار قتيبة ط ٢ سنة ١٣٩٩ هـ .
- (٢) انظر أبو الحسن الندوى : السيرة النبوية طبع قطر ١٣٩٩ هـ ص ٥٢٧ .
- (٣) انظر دراسة في المائة الأوائل صفحات ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
- (٤) عنوان كتاب من تأليف ب . ف . سكينز ترجمة د . عبدالقادر يوسف نشر سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٤٠٠ هـ .
- (٥) المرجع السابق ص ٦ .
- (٦) المرجع السابق ١٠ ، ١١ بتصرف .
- (٧) انظر المائة الأوائل .
- (٨) نقلا عن مصطفى السباعي : عظماءنا في التاريخ ٨٧ .
- (٩) المرجع السابق ٨٩ .
- (١٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٠٠/١ .
- (١١) ابن هشام السيرة النبوية ٣١٩/١ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد طبع مصر .
- (١٢) ابن هشام : ٩٨/٢ - الطبعة السابقة .
- (١٣) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٩٧/١ طبع دار بيروت ١٩٧٨ م وانظر ابن كثير (الفصول في اختصار سيرة الرسول في ٢٢٨) وانظر ابن الجوزي : الوفا ٢٧٣/٢ .
- (١٤) ابن كثير : الفصول ٢٢٨ وانظر ابن الجوزي : الوفا بأحوال المصطفى ٢٧٣/٢ ومابعدهما .
- (١٥) انظر في هذا : الحافظ ابن كثير : الفصول في اختصار سيرة الرسول ٢١٩ ومابعدهما طبع دار القلم بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ وانظر في زوجات الرسول - أيضا - سيرة ابن هشام ٣٢١/٤ .

- (١٦) سورة القلم آية ٥ .
- (١٧) انظر : الوفا بأحوال المصطفى الصفحات من ٤١ - ١١١ (الجزء الثاني) طبع المطبعة السعيدية بالرياض .
- (١٨) البائن الطويل .
- (١٩) ربعة : معتدل القامة . وقطط : شديد الجعودة ، وسبط : سائل - والمطهم : الفاحش السمن ، والمكثم : المستدير الوجه ، والاسالة : الاستطالة والدعج : الشدة في السواد ، والمسربة : شعر في وسط الصدر ، والمشاش : رأس العظام ، والكند : الكاهل ، والتكفؤ : الميل .
- جامع الأصول ٢٢٦/١١ .
- (٢٠) هذه رواية رزين للترمذى ، وقد وردت في جامع الأصول ج ١١ ص ٢٢٤ طبع مكتبة الحلواني تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، وقد وردت عند الترمذى بخلاف لفظي قليل .
- (٢١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ٥٩/٣ طبع الرسالة ببيروت ، وهو حديث حسن أخرجه الحاكم وأخرجه ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى .
- (٢٢) رواه مسلم .
- (٢٣) رواه البخارى .
- (٢٤) رواه الدارمى .
- (٢٥) رواه الترمذى . (الشماثل) .
- (٢٦) انظر الأحاديث رقم ٨٧٩٠ ، ٨٧٩١ ، ٨٧٩٢ وما بعدها من جامع الأصول والأحاديث مروية عن البخارى ومسلم والنسائي والترمذى وأبي داود ، وانظر ابن سعد : الطبقات ٤١٠/١ .
- (٢٧) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٧ - ٣٨٨ ، ٤٧٤ - ٤٩٢ وانظر ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ٢٧٧/٢ - ٣١٤ .
- (٢٨) مريم ٥٤ .
- (٢٩) مريم ٣٠ - ٣٢ .

- (٣٠) الأنبياء ٧٢ ، ٧٣ .
- (٣١) الأنبياء ٧٤ .
- (٣٢) الأنبياء ٧٩ .
- (٣٣) الأنبياء ٨٥ .
- (٣٤) الأنبياء ١٠٧ .
- (٣٥) سورة القلم ٤ .
- (٣٦) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ١١٨ (عن الزجاج) طبعة دار الكتب دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م .
- (٣٧) المائدة : ١٥ .
- (٣٨) رواء الإمام أحمد .
- (٣٩) نصرى سلهب : فى خطى محمد ٣٦٦ .
- (٤٠) نصرى سلهب ، المرجع السابق ٣٦٧ .
- (٤١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٢/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .
- (٤٢) الشيخ أبوزهرة : خاتم النبيين : ٢٤٢/١ طبع قطر والآية الواردة من النص من سورة التحريم .
- (٤٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد ٥٨٣ الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ م .
- (٤٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٧/١ وقد ورد فى البخارى بشيء من الاختلاف .
- (٤٥) المصدر السابق ٣٦٦/١ .
- (٤٦) الطبقات الكبرى ٣٧٠/١ .
- (٤٧) رواء البخارى .
- (٤٨) ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ٩٨/٢ .
- (٤٩) المكان السابق .
- (٥٠) سورة الواقعة ٣٥ ، ٣٧ وانظر : ابن الجوزى : الوفا ١٠٩/٢ .

- (٥١) ابن الجوزى : الوفا ١٠٨/٢ والحديث صحيح .
- (٥٢) رواه البخارى ومسلم وانظر ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٤٦٧/١ .
- (٥٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٣/١ .
- (٥٤) ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ١٠٦/٢ .
- (٥٥) ابن هشام : السيرة النبوية ٣٦٧/٣ .
- (٥٦) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٤/١٣٤ ، ١٣٥ .
- (٥٧) ابن هشام : السيرة النبوية ٤/٣٢٨ .
- (٥٨) ابن هشام : السيرة النبوية ٣/٤٩ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
- (٥٩) انظر عبد الرحمن عزام : فصل رحمته وبره من كتابه بطل الأبطال طبع وزارة المعارف السعودية .
- (٦٠) عبد الرحمن عزام : بطل الأبطال ص ١١٠ .
- (٦١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٣٦٤ طبع دار بيروت للطبع والنشر .
- (٦٢) المكان السابق والحديث رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين .
- (٦٣) القاضي عياض : الشفا - مقدمة كلامه في أوصاف النبی . وانظر : محمد أبو زهرة : خاتم النبیین ص ٢١٩ الجزء الأول طبع قطر .
- (٦٤) الأنعام ١٢٤ .
- (٦٥) الحج ٧٥ .
- (٦٦) الأحزاب آية ٢١ .
- (٦٧) الاسراء ٩٣ .
- (٦٨) الكهف ١١٠ .
- (٦٩) التوبة ٣٠ .
- (٧٠) سليمان الندوى : الرسالة المحمدية (نقلا عن د . عبد الحليم محمود : دلائل النبوة ص ٤٤٦ طبع دار الانسان بمصر .
- (٧١) النجم ٣ .
- (٧٢) الحشر ٧ .

- (٧٣) النساء ٨٠ .
- (٧٤) شك في الحادثة المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة وقال : ان أخبار الشق لا تخلو من اضطراب ، ولكن - في النهاية - وقف غير راد ولا مصدق (انظر خاتم النبيين ١٥٤/١ طبع قطر) .
- وقد مال الشيخ محمد الغزالي إلى أن الحادثة من باب المجاز (انظر فقه السيرة ٦٨ الطبعة السابعة - مصر ١٩٧٦م) وأنا أميل إلى صحة الواقعة حقيقة .
- (٧٥) محمد الغزالي : فقه السيرة ٦٧ ، ٢٨ الطبعة السابعة / مصر .
- (٧٦) انظر د . مصطفى السباعي : عظاماؤنا في التاريخ مطابع المكتب الإسلامي ص ٣٠ بتصرف .
- (٧٧) د . مصطفى السباعي ، مرجع سابق ص ٣٠ بتصرف .
- (٧٨) العقاد : عبقرية محمد (التمهيد) طبع دار الهلال .
- (٧٩) د . مصطفى السباعي : مرجع سابق ٣١ ، ٣٢ بتصرف .
- (٨٠) دراسة في المائة الأوائل ص ١٩ .
- (٨١) نقلا عن : دلائل النبوة ومعجزات الرسول للدكتور عبدالحليم محمود ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ نشر دار الانسان - القاهرة .
- (٨٢) آل عمران ١٥٩ .
- (٨٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٢٢/١ .
- (٨٤) الحشر ٩ .
- (٨٥) المراد : البقلة الحمراء الناعمة شبه بهازهرة الدنيا .
- (٨٦) ابن هشام : السيرة النبوية ١٤٧/٤ ، ١٤٨ .
- (٨٧) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة ٦١ طبع دار الشروق ١٩٦٩ .
- (٨٨) صفى الرحمن المباركفوري : الرحيم المختوم ١٣٤ طبع رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٠ هـ .
- (٨٩) المرجع السابق ١٣٦ .
- (٩٠) حديث صحيح أخرجه الترمذى ، والحاكم ، ورواه أحمد .

- (٩١) الشيخ محمد الغزالي : فقه السيرة ٢١٢ الطبعة السابعة .
- (٩٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢٧/٣ وما بعدها ، وانظر صفى الرحمن المباركفوري :
الرحيق المختوم ٣٠٤ .
- (٩٣) ابن هشام : المرجع السابق .
- (٩٤) نصرى سلهب : في خطى محمد ١٩٥ ، ١٩٦ ، ونصرى سلهب (نصرانى لبنانى
منصف) .
- (٩٥) المرجع السابق ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ نشر دار الكتاب اللبنانى .
- (٩٦) دراسة في المائة الأوائل ١٩ .
- (٩٧) في أيامه وبعد أيامه (المؤلف) .
- (٩٨) ول ديورات : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الرابع (١٣) ص ٤٧
ترجمة محمد بدران نشر جامعة الدول العربية .

صدر منها :

- ١ - الشباب دوره ومشكلاته :
تأليف د. صالح الفوزان - الأستاذ شاكر سالم الدولة.
- ٢ - معالم رئيسية في مسيرة الجامعة الإسلامية
تأليف د. عز الدين ابراهيم.
- ٣ - محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث
تأليف الأستاذ محمد بهجة الأثري.
- ٤ - توجيهات الإسلام في نطاق الأسرة
تأليف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.
- ٥ - الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة في الشريعة الإسلامية
تأليف د. عبدالعزيز السعيد.
- ٦ - السياسة الجنائية في التشريع الإسلامي
د. مصطفى محمد حسنين.
- ٧ - الزواج في الشريعة الإسلامية
تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين.
والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن داود.
- ٨ - حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات
تأليف د. حماد الدين خليل.
- ٩ - النكاح الاجتماعي في الشريعة الإسلامية
تأليف د. محمد بن أحمد الصالح.
- ١٠ - تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران
تأليف الشيخ أحمد بن حجر آل يوطامي آل بن علي.
- ١١ - ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها
تأليف صالح أحمد رضا.
- ١٢ - الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني
تأليف د. إسماعيل أحمد باغى.
- ١٣ - ابن قيم الجوزية
تأليف د. محمد الأنور السنهوتى.

- ١٤ - كيف تحفظ القرآن الكريم
تأليف الشيخ عبدالب نواب الدين
- ١٥ - الشعوب الإسلامية ووسائل التقريب بينهم
تأليف د. مقدار يالجن.
- ١٦ - مبشرات البحث العلمي عند المسلمين
تأليف د. محمد عبدالعليم مرسى.
- ١٧ - الدروس الحكيمة للناشئة الإسلامية
تأليف الأستاذ رفيق إعدام محمود رداوى.
- ١٨ - مفهوم المسرح الإسلامى والمسرح العربى
بقلم د. عدنان محمد وزان.
- ١٩ - التفريب في التعليم في العالم الإسلامى
بقلم د. محمد عبدالعليم مرسى.
- ٢٠ - الإسلام والطفل
بقلم د. عبدالرزاق حسين.